



انهم لا يحبون الألفان

- ١ -

اثنتا عشرة ساعة قبل الكارثة :

وتكم ضحكاتهما رغم همها - لتمتمته المتكررة (لا يمكن ان يكون سلامة) .
لكنه كان سلامة .

ضاق ببعده البارد عن القرية ليلة العيد - هكذا قال - فلقى بكلام العمدة (لمن أباه دونما داع) عن خطورة المنطقة الى البحر .
تساءل : هل يمكن أن يحدث شيء في ليلة مثل هذه ؟

صق العمدة عندما سمع صوت سلامة . لم يفضبه كثيرا أن يعلن أباه . فقد كان مشغولا بالمزق الذي وقع فيه . سمع خديجة تملقه بكلمات بدت غريبة (هل يجرؤ أحد أن يقترب من درك أنت فيه ؟) . كان واضحا أنها تقوده الى الفراش (سيد الرجال أنت . كلهم يعرفون انك سبع) . لو قبل ابن القديمة ان يرقد على الفراش فسينام في دقيقة على الأكثر (والله ما حمل البندقية في قريتنا رجل مثلك) . بنت الهرمة لها قدرة الشياطين على اثارة القرور .. بالضبط ، كما لها قدرتها على السخرية اللاذعة . وضاق العمدة بجلسته المتشنجة ، وسط أشياء لا يدري ما هي ، وبدت له الحياة أسود من الظلام الذي يحيطه . لا يرى فيه حتى أصبح . ولانه عاش عشرين عاما في العمودية ، بدأ يشك فيما يحدث . علمه السلطان أن لا شيء يحدث صدفة . وخطر على باله ، أن الامر مدبر بينهما . في لحظة يقتحم سلامة غرفة ألمجين شاهرا بندقيته ، ويطلب محفظته . وعندئذ لن يستطيع أن يفعل شيئا ، سوى أن يقدمها له . فيها كل ما يملكه من نقود . ربما كان الامر أخطر . اطراف المؤامرة أبعد . سلامة اتفق مع احدي العائلات الطامحة الى العمودية . رصاصة في قلبه . والقضية دفاع عن الشرف . سلامة لا يهمه شيء . فهو بلا أسرة . ليلة سوداء . لو كان هناك قدر من النور ، ما فكر في هذه الخواطر القاتمة .

كانت خديجة تتحدث الى سلامة ، وبألفاظ مشغول مع حبس غرفة العجين . تفكر في انتهاء فرصة نوم زوجها ، لكي تسرب العمدة الى الخارج . ورغم حرج الموقف ، كانت تحس بسكينة ممتعة .. بسل ربما أحسست بشيء من اللذة الفامضة . ولكن سلامة ، لدهشتها ، لم يكن راغبا في النوم .. أيقظ تملقهما في نفسه فحولة نائمة ، فعانقها في نشوة .

ومن مخبئه الاسود ، سمع العمدة صوتيهما يرفقان .. وحديثهما يهمس ويتقطع . وأدرك في لحظة جنون ما يحدث . وأحس بالفيرة تطعنه في رجولته . وزادت قتامة السجن حوله . وبرغمه ، أخذ يتسمع الى الاصوات في فضول . وانساق خياله يجسدهما صورة

ليلة العيد .. القرية بدأ أنها ستسهر حتى الصباح . ومن السهل ان يعتذر العمدة لزوجته عن البقاء في البيت بضرورة الاطمئنان على الامن . فعلا مارس عمله ساعة . تأمل - في رضا - الناس وهم يقفون ته في احترام . نهى الاطفال عن اللعب بالصواريخ ، وهندهم بمنشور مبهم جاءه بعد العيد الماضي . ذهب ليفض حلقة الحلوى ، فاستغرقته وقتا . نأكد ان الخفراء موجودون في أماكنهم ، وخاصة الخفير (سلامة) . كلهم كوم ، وسلامة هذا كوم آخر . سلامة بالذات يجب ان يدور في دركه ، لا يتعداه خطوة واحدة . بعيد هذا الدرك عن البلد . اختاره ته العمدة بنفسه . وأوعز به الى شيخ الخفراء لكي يفرضه عليه .

بعد ان اطمأن العمدة الى ان كل شيء على ما يرام ، وان فرحة العيد لم تنس الناس عقولهم (بقصد الادب) ، بدأ يتخلص من حاشيته . لا عمل لهم منذ انصباح الا أن يسيروا حوله . لا ينفعون في شيء . هم مجرد صدى لاوامره . لولا ضرورتهم لاكتمال الهيبة ، وحسن نقلهم للاخبار ، لاستغنى عنهم .

استطاع في مهارة حسد نفسه عليها ان يتخلص منهم - برغم صعوبة ذلك - وان بقي شيخ الخفراء اندي أبي ان يتركه الا وقد اعاده الى داره ، في رعاية الله . واضطر العمدة الى الاقتراب من بيته فعلا ، لكي يوهمه انه عائد اليه . وبالتقرب من الباب صافحه مودعا ، وتأكد انه قد ابتعد قبل ان يعود مرة اخرى .

كان العمدة يفكر منتشيا في سلامة ، الذي يجوب دركه خاراج البلد ، محبوسا في الخلا ، لا يستطيع ان يعود الى القرية الا مع الفجر ، عندما فتحت له خديجة زوجة سلامة الباب ، كما لو كانت تصنعت خلفه . بمجرد أن أحست به فتحته ، دون أن تلجئه لان يطرقة ، ويحدث ضجة تلتف الانظار . سرعان ما كان داخل البيت آمنا ، تنفذ الى رتيه رائحة عفنة ، ويطارد خديجة في رعونة وقد أخذت تتهرب منه في استجابة ، وتترغ منه في دلال ، وتروغ من يديه وسفنتيه في رغبة . وما أن احتواها تحته .. عصفور ضئيل عجب كيف يحتمل جسده الضخم ، حتى سمعا خطبا على آلباب . ودعرت خديجة ، وذعر العمدة اكثر . وحاولا استعادة هدونهما ، وهي تدخله غرفة العجين ..

وحركة . وامتزجت داخله الرغبة ، بالخوف ، بالحنق ، في تشنج أهوج ، جعله يدفع شيئاً ما الى جواره ، فيصدر صوتاً مدوياً .
 (لا بد انه فط) . هكذا قالت لسلامة . ومرت بالعمدة المقرص كالجنين ، وطمانته بكلمات خفيفة مسرعة : ستخرجه بعد أن ينسام سلامة . . سلامة ينام في الخدمة ، والشمس طالعة . ورغم ذلك لم تعد خديجة إلا بعد ساعات ، مرت كالعمر كله .

واز الباب فاضحاً ، وهي تفتحه له ، لكي يتسلل الى الخارج متشهداً . وما كاد يعي ما يحدث حوله ، حتى التفت عيناه بعينين امتزج فيهما اتفصول بالدهشة . عرف انه عامل التليفون . لا يهم . هل يمكن ان يكون لاحظ شيئاً ؟ انه من رجاله على أي حال . ولد ذكي ، ولا يفوت عليه شيء مثل هذا ! . ملعون أبوه . هل من الواجب عليه ان يلجم له بالصمت ؟ لا داعي لذلك . فهذا افرار بالذنب . لا بد أن يحس الولد بشيء من الولاة ناحيته . لقد خلع عنه ثوب الخفير الخشن ، وعينه عاملاً للتليفون . حقا انه يجيد القراءة والكتابة ، ولكن كان ينافسه كثيرون .

وما كاد العمدة يلتقط أنفاسه ، حتى وجد أمامه بعض أهل القرية . ظنوه مثلهم ذاهباً الى صلاة العيد . كان مستحيلاً أن يخيب ظنهم . ظل طول الوقت يتساءل : هل ما حدث يوجب الاستحمام ام لا ؟

- ٢ -

ما أن أطمأن شيخ الخفراء ان العمدة قد فصد داره ، حتى سار خفيفاً خارج البلد . وكما توقع ، وجد الرجال في انتظاره ، بالقرب من شجرة الجوز الكبيرة ، التي تعتبر محطة القرية . عندها يقف المسافرون تلتقطهم السيارات الذهبية الى البندر . دار بينه وبينهم حديث سريع ، طمانهم فيه الى ان الطريق آمن ، والجو خال . البلد لاهية بالعيد ، ولا عتبة أمامهم سوى سلامة ، تههد لهم أن يزيحه عن طريقهم ، والباقي عليهم .

وعندما التقى شيخ الخفراء بسلامة أثناء عودته ، أصر سلامة في شهامة على أن يسير الى جواره ، ليوصله الى القرية . ودار بينهما حديث غير هام ، لكن أثر على سلامة تأثيراً كبيراً ، فلقد تبسط معه شيخ الخفراء . حتى لقد سأله كم مرة يضاجع فيها زوجته . وألج عليه أن يأخذ منه سيجارة . وفي الطريق قابلاً (الدكتور) ، وهو ليس طبيباً ، ما زال طالباً في كلية الطب . ولكن القرية تطلق عليه لقب (دكتور) باعتبار ما سيكون ان شاء الله . وصافح الدكتور شيخ الخفراء ، ثم صافح سلامة ، مما زاد في انتشائه . فلقد احس أن رأسه برأس شيخ الخفراء .

وعندما وصلا الى القرية ، وشرع سلامة في العودة أسفاً ، هون عليه شيخ الخفراء ، أن يترك دركه ، ويعود الى بيته . فالليلة عيد ، وليس هناك خسيس يجرو أن يخرق الامن في تلك الليلة . لم يقل ذلك بالضبط ، ولم يكن من الممكن ان يقوله ، ولكن سلامة فهم انه يعني ذلك .

ولم يتركه شيخ الخفراء ، الا وقد تأكد تماما انه سيكون بمسند لحظات في بيته . وسار نشيطاً ، وقد اجتذبتته فكرة الفنائم التي سيحصل عليها من سرقة الليلة . مبلغ لا يستطيع تحديده الآن . ذلك سيتم بعد بيع البهائم المسروقة . ولكنه بالتقريب لا بأس به . وكان عادة يمل ، عندما يفكر ان المال الذي يقتصده بصبر يزداد . سرقة الليلة ستكمل لمن فدان جديد ، وكان يعرف المبلغ الذي وفره جيداً ، لكنه قرر أن يقضي الوقت الى صلاة العيد في الاطمئنان عليه والتأكد من مقداره .

- ٣ -

رحب شيخ البلد بابن أخته (الدكتور) . كان في انتظاره منذ وقت طويل . ترك العمدة وعاد الى بيته . ثم أرسل الى الدكتور أكثر

من واحد من أولاده . وكان شيخ البلد رجلاً مجاًلاً . لذلك أحبه الناس جميعاً . وكانوا يعاملونه بتقدير حقيقي . وليس خوفاً من سلطانه . أبداً لم يضر أحداً ، ولم يشتم أحداً . كان دائماً لطيفاً مع الآخرين ، حتى كسان البعض يهمس ، بأنه أحق بالعمودية من غيره .

وكان الدكتور يعرف ما يريد خاله ، وكما توقع تماماً ، لم يفتح الخال الموضوع ، إلا بعد تقديم الشاي مرتين ، ودعوته الى العشاء ، الذي رفضه الدكتور ، لان أمه صممت على أن يتعشى قبل خروجه . بعدها بدأ شيخ البلد تكلام . مقدمة عامه مسبهة ، مدعومة بالآيات القرآنية ، والاحاديث الشريفة ، عن الفساد اندي استشري في القرية ، حتى أصبحت كعاد ونمود . وحقت عليها اللعنة . ثم بعد المقدمة ، حديث عن أخلاصه وفيرته ، يدفعه لانتقاد القرية من المفسدين . الخاتمة اعلان صريح لرغبته : انه يريد من الدكتور ، أن يكتب بعض الشكاوى . شيخ البلد يجيد القراءة والكتابة ، وخطه أفضل خط في البلد كلها . لكنه لا يستطيع كتابة هذه الشكاوى خشية أن يكتشف احد انه مرسلها . انه يريدنا - ككل عيد - شكاوى مجهولة . وسهر الدكتور ليملي عليه شيخ البلد ثلاث عشرة شكوى . .

الشكاوى الخامسة :

العمدة يحكم القرية ، وزوجسة العمدة تحكم العمدة ، وعامل التليفون يحكم زوجة العمدة . حقا انه ولد ميموص . لا يساوي في سوق الرجال قرشا . الا ان زوجة العمدة جعلته انكل في الكل . كان أجيروا لدى العمدة ، ينقل المحصول من الخقل الى الدار .

ولاحظ أناس انه لا يفرغ حموة الحمار ، ولا يخرج كما يحدث عادة بسرعة ، بل يبقى في الدار وقتاً . وقال أهل السوء - وما أكثرهم - ان بين الاجير وزوجة العمدة شيئاً ، أستغفر الله العظيم . ولم يمض عام الا وكان الاجير الحافي خفيرا . يرتدي انطربوش الاسود ، ويحمل بنديقية ، وجمله العمدة خفيره الخصوصي ، لا يكاد يبرح داره . وكل الناس تعلم مقدار راتب الخفير ، وانه لا يكفي لاطعامه . ولذلك يضطر دائماً لممارسة عمل آخر . ولكن هذا الولد كان عسلى خلاف ذلك . لا يعمل شيئاً ، سوى البقاء في بيت العمدة . ثم يلبس الجلباب السكروتة . . ويدخن سمره بالعازلين . . ويدخن السجائر من عبلة كبيرة . . ويجلس على المقهى ، ويدفع الحساب لأكثر من واحد ، وتفوح منه دائماً الروائح العظيمة . ولم يذمل الولد عاماً في عمله كخفير ، اذ ترقى فجأة الى عامل تليفون ، ورغم ان علمه بالقراءة والكتابة يكاد أن يكون ممدوماً ، وقال أهل السوء ان الست وراء كل هذا .

ولم يكتف الولد بذلك ، فقد لاحظ أهل القرية ان كلمته هي العليا ، فصاروا يذهبون اليه لتقضاء حاجاتهم ، بدلا من ذهابهم الى العمدة أو غيره من أهل الحيثة . وأصبح قاصد عامل التليفون متأكدا ان حاجته مقضية . وتوسع الولد في أعماله ، فحدد مبلغاً معيناً لكل مصلحة يراد فضاؤها . وقيل - والله أعلم - ان العمدة يتقاسم مع الولد . وقيل أيضاً : ان الذي يتقاسم هو زوجة العمدة . ولكن ما يتضح من ظواهر الأشياء أن الولد لا يتقاسم مع أحد ، اذ استطاع خلال عام واحد ، أن يشتري فداناً ونصف فدان .

- ٤ -

كان سلامة متأكدا ان لا مففل في القرية الا بالاختيار . فالأخبار تنتقل من أول البلد الى آخرها ، بسرعة مشي الانسان . والشخص العادي يسير من أول البلد الى آخرها في خمس دقائق على الاكثر ، ولان كل شيء ساكن ، فالتناس يحسون بالاحسداث قبل وقوعها . . لم يعشق رجل امرأة ، الا وتكهنوا قبلها بحدوث هذا العشق ، ولم يشاجر انسان الا وتوقعوا حدوث المشاجرة قبلها بوقت .

بالتأكيد كان يلاحظ كل شيء . . ذلك الإعجاب القديم في نظرات

من ثلاث دقائق .

وخرج العمدة من المسجد ينفخ عيظا ، وهو يسنفرض في ذهنه طرق الاتصال بخديجه ، وكيفية الحصول على المحفظة منها ، دون ان يمد يدها اليها . لو ادعت العاهرة انها لم تجد شيئا ، فهذا يعني ان يواجه عاما أسود من قرن الخروب . وكان يحاول ترتيب أفكاره ، بكلمة يرددها بين الحين والحين (كارثة) .

ولكن الكارثة الحقيقية ، ان هذه لم تكن الا بداية الكارثة .

عندما عاد العمدة الى بيته ، ليبحث عن محفظته أنسياقا وراء أمل لا منطوق له ، وأجبه عامل التليفون بوجه شاحب (أصملا هو شاحب) كانت هيئته غريبة . الذعر يبدو عليه كما لو كان عفريت على كتفيه . حتى ملبسه كانت ترتعش . والكلمات تخرج من بين شفثيه غامضة ، كأنها بكلمات غير مفهومة : اتليفون ضاع .

ولم يكن سهلا على العمدة ، ان يفهم ما قتله عامل التليفون . استعادته ما قال مرات فربما يكون قد أخطأ السمع ، ثم هرول مجنونا الى حجرة التليفون ، يبحث عنه في كل ركن . وكان الهول أكبر من ان يحمله العمدة ، فانها على خديه لظما . وعلى عامل التليفون ضربا . وهو يلاحقه بالأسئلة . اذ كيف يضيع اتليفون وهو عهددة الحكومة . من أجله قامت معارك دامية ، بين أسرته والاسر المعادية ، على امتداد نصف قرن أو يزيد ، فهو رمز العمودية العتيد . يخرج من بيت الى بيت في زفة . ثم لا يعلمه الا انه والحكومة . لكن يضاف اليه جث سبعة من خيرة رجال القرية ، فتلوا أملا فيه ، أو دفاعا عنه .

ولم يمنحه مرور الوقت هدوءا ولا فهما . . على العكس ، كلما قلب الرأي ، بدا له ما حدث مستحيلا . لولا الآلام التي تبرح به لتوهم انه كابوس . التليفون له أسلاك ، هو نفسه يخشى الاقتراب منها . وبالتالي لا يوجد في القرية من يجروا أن يمد اليها يده . وعندئذ سأل نفسه ماذا يستفيد اللص من سرقة التليفون ؟ ورأى ان سؤاله بلا اجابة ، كاد أن يبكي غيظا .

وكان التحقيق طويلا ودقيقا ، أكد له ان سرقة التليفون ، دون ان يلحظ السارق أحد ، أمر مستحيل ، وهذا ما جعله يكاد أن يفقد عقله (تمنى لو حدث ذلك ليستريح) . فوى غمضة تعبت برأسه دون رحمة . أقسم عامل التليفون انه ما تركه لحظة . العمدة يعلم انه كاذب . قابله عند باب خديجة فجرا . لكنه لا يستطيع ان يكذبه . العين كانت في العين . وعندما انجست الكلمات في حلق العمدة ، أمر بجس العمل في غرفة التليفون ، أو تلك التي كانت غرفة التليفون ، جسما مفتوحا ، حتى يظهر المخفي الغالي .

وما ان التقط العمدة أنفاسه ، حتى تأكد له انها مؤامرة مدبرة بمهارة . بدأت بالمحفظة ، وانتهت بالتليفون . مجهولون (كأنهم الجن) انتزعوا منه أغلى شئيين يمتلكهما ، ثم يعد في جيبه مليم واحد ، وانقطعت الصلة بينه وبين الحكومة . مستحيل ان يواجهها . لا أقل من ان يعزلوه من العمودية . ربما كانوا يتصلون به الآن ، ولا يجدون صدى لندائهم . وبمجرد ان فكر انها مؤامرة ، ففتت الى ذهنه عشرات الاسماء . عليه فقط ان يحصر اصحابها ، ويشتم الاخبار حولهم ، ثم ما بعد ذلك سهل . في حياته ما وضع يده على متهم ، الا واعترف . وسائله دائما ناجمة . أكثرهم رجولة لن يستطيع الانتكار اكثر ممن نصف نهار . سيعترفون جميعا ، ويستعيد مسرقاته . هذا السذي سرق التليفون سيعاقبه عقابا لم تعرف البلد له مثيلا من قبل . لمن يكون العمدة ، وابن العمدة ، ان لم يجعله ينسى اسمه الى الابد . المهم الآن تحديد أسماء المتآمرين .

- ٦ -

لم يكد العمدة يحصر أسماء المتهمين ، واستعمل في ذلك القلم والورق - على غير عادته - خوفا من السهو ، حتى بدأت تهال عليه

العمدة ، وكلماته ، بخديجة . يقولون انها مزوجة . . برغم انها لم تتزوج سوى مرتين . بعد ان ضلقت من عبد العزيز ، أنهمته فسي رجولته . هذا ما جعل القرية تنصورها امرأة شبقية . خاصة ان عبد العزيز تزوج بعدها امرأة لا نسكو شيئا . انشكوى من العجز ، في نظر القرية ، عهر . لم يعمل سلامة زوجا ، الا بعد أن ضاجحها ، بل بدأ ذلك اثناء زواجها الاول . كم أزعجته صورة جهنم آتد .

العمدة - على غير العادة - قبل اقراضه اكثر من مرة الاذرة - ثم طلب ان نبي خديجة لمساعدة الست في أعمال البيت . العمدة عفا عنه بعد ان وجده نائما في دركه ، ثم زاره في منزله ، ونظرته تطارد خديجة . العمدة قربه ابيه . كان يخصه دائما - في ود - بشتامه . الليلة أخذ يلج عليه الا يترك دركه . الامر مفهوم ، حتى دون الاضطراب ، وهي تفتح له الباب . الامر مفهوم .

بعد ان زانت نشوته صفا ذهنه ، فادرك ان تملقها تم يكن بلا هدف ، من الكلمات اللعنة ، من النظرات الزائفة ، حدد المكان ، وأكد حقيقته الشخص .

الامر مفهوم وواضح . ولا حل سوى النوم . كان النوم سهلا عليه ، نكنه الليلة أصعب ما يكون . ومع ذلك نام . سمع صوت الباب ، وهو يفتح ، عسى آلا يراه أحد وهو خارج ، فتكون الفضيحة . بعدها لم يعد صوتها خائفا ، لم يعد نظراتها خائفة وتأنه .

بدت كما لو كانت نائرة على تملقها ته . في سلاطة ، سألته ان يستيقظ ، تيصلي صلاة العيد . فام مستغيذا بالشیطان ، طالبا منها ان تسخن له ماء لكي يستحم . دون أن ترد عليه ، ابتعدت وهي تغمغ بكلمات لم يتبينها . ولكنه أدرك انها تسخر منه .

- ٥ -

أغرب حادث في تاريخ القرية :

كان العمدة في أقصى حالات نشاطه وحيويته . بل وسعادته . ربما لانه حفا مبتهج بالعيد . وربما لانه خرج من مازق البارحة خروج الشعرة من العجين ، وبدا مرحا وهو يصافح الناس في المسجد ، رادا تهاينهم له بالعيد ، ناسيا تماما قضية طهارته . وعندما انحنى ولد من الاسرة مقبلا يده ، وشفتاه تتمثمان بالتهنئة ، مد يده الى محفظته لينفحه « اتميدية » (وهو حدث مدهش في حياة العمدة) . وتجمع الناس حوله ، وغيونهم ترجو أن يجد المحفظة . نتائج فقدها ستكون على رؤوسهم في النهاية . وبرق في ذهنه للوهلة الاولى خاطر انها سقطت . فلا بد ان يكون ذلك في غرفة العجين ، وهذا يعني الاتصال السريع الخفي بخديجة . وخديجة تاكل مال النبي . المحفظة فيها كل ما يملك من مال وهو كثير . لا يأمن مكانا غيرها . . لم يفكر مرة واحدة انها من الممكن ان تضيع . مصيبة ان لم يستطع حاكم القرية ورجلها الكبير ، أن يأمن على جيبه .

واتسعت الدائرة حول العمدة ، وكلهم يكاد يقسم ان العمدة سيجد محفظته ، وحالا ، ولم يبد نه كلامهم سخيلا فحسب ، بل مثيرا للاعصاب ايضا . ولقهره ، صب على الرجال غضبه ، متنها ايهاهم بالسرق في بيت الله . قائلا ان مصيرهم هو الجحيم باذنه تعالى . وعندما حاول شيخ الخفراء مواساته ، بأنه ربما نسيها في السدار ، سخط عليه . اذ كيف يمكن ان يكون قد نسيها في الدار ، وهو ما خطا عينته طوال اليلة السوداء .

ولم يحدث في تاريخ القرية ، على ما يذكر الممرور ، ان ضاعت فيها محفظة أحد . قد يحدث هذا في البندر بل ويحدث كثيرا . ولكن ضياع محفظة في القرية أمر لم يحدث ابدا . لذلك كان لضياع محفظة العمدة - والعمدة بالذات - دوي هائل في القرية كلها . ولان المسجد في منتصفها تقريبا . . وصل الخبر الى كل فرد فيها في أقل

حول حل اللغز :

مرت ليلة سوداء على القرية لم ينم فيها أحد . اذ كيف يستطيع النوم وهو لا يأمن ان يدخل عليه غريب . وكان الرجل اذا كلم امرأته في سر ما ، همس كما لو كان مهمما أحد ، بل وخشي البعض لعن الجناة خوفا من بطشهم . ولم يقلل مرور ليلة على الحادث من غرابته ، او وجد تفسيراً له . على العكس أمسك بخناق الناس ، شغل بالهم وحيرهم . ومن الدهشة لم يجنّ أحد ولم ينتحر أحد .

وفي نفس الوقت الذي أعلنوا فيه جميعاً بأسهم ، كما لو كان الامر هذه المرة أيضاً بالتدبير ، أعلن الولد (بدر) انه يعرف كل شيء ! تجمعوا حوله في لهفة (اذ كان يتكلم وانثاماً يقول) وفي ظنهم انه سيلقي اليهم ما يعرف فوراً ، لكنه تدلل ، جاملوه ، ونهروه . صنعوا له شايًا ، وعزموا عليه بسجائر . هددوه ، لكنه رفض ان يتكلم ، والابتسام لا تفارق شفثيه . أكد انه لن يحل اللغز الا أمام القرية بأكملها . انفضوا من حوله ساخطين . اذ ماذا يعرف . انهم جميعاً لم يستطيعوا الوصول الى حل . هل يستطيع هو ؟ على قيد خطوات منه بقوا ، اذ ربما تكلم .

الولد بدر ، لا يزيد كثيراً عنهم . حقا لقد ذهب الى البندر وتعلم ، لكنه ليس فريداً في ذلك . أبوه - رحمه الله - كان يريد مهندسا (لم يكن في الناحية كلها مهندس واحد) ، وكانت أمه ، رحمه الله ، تريد عالماً مثل أبيها . وكان عمه ، رحمه الله ، يريد مزارعاً . وماتوا جميعاً ، وهم يعرفون ان بدر فشل في تحقيق سق امانهم . ولكن - والشهادة لله - حقق لكل واحد جزءاً من أمنيته . درس الزراعة سنوات في البندر (في طريقه لان يكون مهندساً زراعياً) وهو القراءة ، ثم عاد لكي يعمل مزارعاً ، ورغم انه كان ، من وجهة نظر القرية ، جاهلاً بالزراعة ، ويركب رأسه أحياناً ، متصرفاً بحماقة ، الا انه كان اكثرهم نجاحاً . ويؤكد حكماً : (قيراط حظ ، ولا فدان شطارة) .

خلال دقائق ، كانت القرية كلها تعرف ان بدر يعلم السر ، وانه يرفض ان يقوله الا أمام كل الناس ..

سخر مجلس العمدة من حكاية بدر ، اذ كيف يتأتى له ان يعرف ما غمض عليهم جميعاً ، وهم أهل الحكمة . الاسرار دائماً كانت بيسن أيديهم . حقا ان ما حدث ليلة العيد ما زال لغزاً ، ولكنه اذا كان لغزاً لهم ، فهو بالتأكيد ألف لغز لاي شخص آخر ، سواء كان لبدر او لغير بدر . قابلوا حكاية بدر بسخرية واستهانة ، ولكن قلقسا غامضاً بدأ ينسرب اليهم . شيخ البلد بالذات ، أحس ان كلام بدر يبدو كما لو كان موجهاً له . وجال بنظراته في الموجودين . انه لم يفلت فيهم أحداً . ملعون أبو اللغز . لا بهم حله . ملعون أبو ما ضاع . المهم الا يعرف أحد سر الشكاوى .

وتبعاً شيخ البلد للحديث . مقدمة عامة عن مصلحة القرية التي هي فوق أي خسائر ، ثم حديث عن الفتنة (نحن لا ندرى ما يقوله الولد للناس الآن ؟) . الخاتمة : مطالبة بعلاج الامر بحكمة . ولم يكن يتصور ان تكون لكلماته كل هذا اللوي . فلقد دار جدل ضاع فيه صوته ، واقترحت عشرات الحلول ، وتكشف شيخ البلد - لدهشته - انه ليس الوحيد الخائف من كلام بدر .

برغم ان بدر كان أصغر الموجودين سناً ، الا انه لم يكن يعامل

المصائب من كل مكان . اذ اتاه شيخ الخفراء ، وهو يهيل التراب على رأسه ، باكيا ماله الذي ضاع ، رغم انه اطمأن عليه ليلاً ، وشكا شيخ البلد من سرقة أمواله ، ثم بعد تردد ، تحدث عن أوراق هامة لم يحدد ما . وحتى سلامة الذي لا يكاد يملك شيئاً ، شكا من ضياع راديو ترانزستور ، حصلت عليه خديجة من زوجها الاول . لم يبق في القرية كلها بيت لم يشك من سرقة حدثت في تلك الليلة (نصف البيوت على الأقل ، شكا أصحابها من سرقة مفاتيحها) .

وانقلب العيد الى ماتم . فقد الناس جميعاً - وفي لحظات متفاربة - أغلى ما يملكون . وهزهم هول ما حدث ، وروعهم فقد مفاتيحهم ، اذ أصبحوا مباحين للصوص البارحة .

واجتمع العمدة مع رجاله . حرص كعادته ان يجلس في الصدارة ، وعلى الكرسي الافخم (برغم فظاعة ما حدث لا بد من اتباع الاصول) . وظن في البداية ان شيخ الخفراء وحده ، هو الذي لا يصلح لشيء نتيجة انهياره الكامل (كان يغيباً جداً) لكنه اكتشف انهم جميعاً لا يصلحون لشيء . أخذوا يدورون في حلقة مفرغة . بدا الامر كله لغزاً . كان مستحيلاً اتهام شخص او اشخاص ، عصابة او عصابات . اذ لا يمكن لقوة شريفة ، عرفتها القرية ، او سمعت عنها ، ان تستطيع سرقة بيوت القرية كلها ، وفي وقت واحد ، وفي هذا الاحكام البارح . وفي النهاية لا اثر ولا دليل اتهام ، ولا تفسير .

وبدا الحديث دوامة تفرق الموجودين . تاه الجميع . من كان يمتلك تفسيراً ضاع منه خلال النقاش . وفي النهاية وجدوا أنفسهم قبل نقطة الصفر .

- ٧ -

ولم يكن الناس ، في الخارج ، في انتظار تفسير العمدة ، فلقد فكروا فيما حدث ، وقلبوا الرأي وانتهوا الى ان ما حدث اما نتيجة لعمل الجن (اذ كيف يتأتى لبشر ان يقوم به) ، او نتيجة لغضب الله لما اقترفوه من آثام . والتفكير فيما حدث ، أسلمهم الى التفكير فيما سيفعلونه . وانسدل عليهم الهم . لقد كانوا يعيشون بالكاد ، وجاءت السرقة لتلقي بهم الى ما هو أسوأ بكثير .

وأحس الاطفال بالجو الغريب حولهم ، فكفوا عن اللعب ، ومن كان يدفعه التزق منهم الى الضحك ، كان يجسد من يزجره بصير نافد .

في هذا العيد لم تفتن فتاة . ولم يصلح رجل زوجته ، ولم تتبختر امرأة بثوبها الجديد ، ولم يشتري الاطفال بالونات . ولم يزد رجل قريبه ، ولم يغازل أحد زوجة جاره ، ولم يضاجع رجل امرأة ، لا في الحلال ولا في الحرام .

كان الدكتور منهاراً ، وبرغم ان خاله شيخ البلد كان اكثر انهيئاراً ، الا انه نصحه بان يقلع عن فكرة السفر ، اذ لو رحل فجأة لانار الشبهات . القرية كوم بارود في حاجة الى شرارة ، وكان الدكتور مثموراً . لقد كتب - بخله - في الشكاوى الضائعة ، اتهامات عديدة ، ضد كل اعيان القرية ، وحتى ضد المأمور . لو وقعت فسي أيديهم ، ولا بد انها ستقع (اذ ما تفسير ما حدث ؟) فلن يخرج من القرية حياً . وتامله خاله في سخط . ليست الشجاعة الا ان نبذ شجماناً . كل أبناء البندر جبناء . اضطروا ان ينهروا ، حتى يكف عن الحديث في السفر ، وزار أخته .. حتى تؤكد على ابنها ان يبقى . لكن عندما سار يفكر في احتمال عثورهم على الشكاوى ، انتابه زعر هائل ، ولولا بقية من احتمال لصاح في الطريق باكياً .

البحث عن غرناطة

« ابك مثل النساء »

بيت شعر أندلسي قديم

(١)

عُنق النخيل يَصَلِّ في أجراسه (بردى) ويشربه الخليج ، يدقّ نافذة بذاكرتي ويفتح فجوة في الرأس
توصلني فيفجؤني العناس .
اغتي مدمرة وأعلم أنني لا ملك لي
ما زلت اقرأ طالع الأبراج أقذف نجمة كالنرد فوق رمالك الملكية الصفاء ثم أعيدها
وتدور بي قدمك تسقط مثل برج الماء قبّة نهدك النبوي (لا أبكي) - وأسقط حين تبدئين فابتدئي
من خلف نافذتين للغرباء منقطة بماء النطفة الأولى مكثفة بسحر زمانك المفقود في غرناطة الجسد .
لا تلتقي في البحر غير أصابع الأطفال (أجنحة يعبئها المحيط) - وتنزلي في مرآته الزرقاء ، تنكشف
الخدبة لي : (كلاب البحر والقرصان) - تنشطرين في الزبد
قدمي بوجه الماء ترسم ظلّ آلهة مشردة على الشيطان - أرصفها على قدميك ثم أبيدها
وأبيد ذاكرتي وذاكرة النخيل - أقول : اني آخر الموتى ووجهك أول .

(٢)

لا ملك لي ...

تنمو سماؤك : نصفها كالوج يصلح للرحيل ونصفها كالطفل يصلح للعبادة ، دائما
تنمو سماؤك

أضمحلّ - وتكبرين

كل الطيور تموت واقفة ويعبرها غزال الوقت : أنت غزالة تعدو وتوصلني
فيفجؤني العناس .

..... وبكيت

انّ الريح تغفر لي

بيروت

محمد علي شمس الدين

لعنه البعض لانه هرب بما يعرف . سيظل اللغز بلا حل . وأكد البعض
انه ما هرب الا لانه لم يكن يعلم . لكن الجميع تنفسوا الصعداء .
واستنكرت القرية ما زعمه البعض من ان للعمدة ورجاله يدا في
اختفاء بدر ، اذ ظل العمدة حريصا على معرفة السر . وطلب - بالحاح -
ان ياتي الى مجلسه كل من يعرف شيئا . ورجل مثل هذا لا يمكن
ان يكون سببا في اختفاء بدر .

واستقبلت القرية ليلتها التالية ، بعد الكارثة ، بروح طيبة .
تعالّت الضحكات ، وتسرب دخان المواقد ، وتزاور الجيـع
وروا كعادتهم النوادر والحكايات .

- ١٠ -

اخيرا :

ليلة العيد التالي . القرية بدا انها ستسهر حتى الصباح ،
ومن السهل ان يعتذر العمدة لزوجته عن البقاء في البيت ، بضرورة
الاطمئنان على الامن . فعلا مارس عمله ساعة . تأمل - في رضا -
الناس ، وهم يقفون له في احترام . نهى الاطفال عن اللعب
بالصواريخ ، وهددهم بمنشور مبهم ، جاءه بعد العيد قبل الماضي .
ذهب بنفض حلقة الحاوي فاستغرقه وقتا . تاكد ان الخفراء موجودون
في اماكنهم ... الخ .

محفوظ عبد الرحمن

القاهرة

مجلس العمدة بالتوفير الكافي ، الامر الذي اثار عليه سخط الجميع .
ولم يكن فيهم من يحبه ، برغم انهم كانوا (ومنذ وقت طويل) يدارونه ،
خوفا من سلاطة لسانه ، او طمعا فيه .

طلبوا منه ان يتكلم ، رفض . اكد انه سينتكم امام اهل القرية
كلهم . ألحوا عليه . رفض . ثاروا في وجهه . رفض . وما زالت
البسمة الشامخة على شفثيه . أقسم بعضهم انه مجنون . خالته
ماتت مجنونة ، والجنون مرض ورائي . شرح له العمدة ان جمع اهل
البلد في مكان واحد مستحيل . وقال شيخ البلد : ان هذا لم يحدث ،
ولا مرة واحدة في تاريخ القرية (وحدث هذا بدعة ، وكل بدعة ضلال ،
وكل ضلالة في النار) . واكد شيخ الخفراء ان جمع الناس ، بعد ان
صدموا ، سيحدث كثيرا من الشغب . ولكن بدر لم يتزحزح عن
موقفه . تهكوا (وفي القلوب مرارة) . وقالوا انه لا يعرف شيئا ،
وانه ، فقط ، يريد ان يبدو مهما . ضحك من الاعماق . اصابتهم
- جميعا - ضحكته بجرح عميق .

منذ الصباح ، حتى المساء ، كان كل اهل القرية قد تقابلوا
عمدا او صدفة ببدر ، وتاملوا بسماته الجارحة ونظرته الساخرة .
كل منهم تاكد انه سيكشف شيئا ما ، خاصا به . وما ان أتى المساء ،
حتى كان بدر يسبح في بحر من الكراهية .

- ٩ -

في لحظة واحدة ، كانت القرية كلها تعلم ان بدر قد اختفى .